الكتابة التاريخية عند أبي زكرياء يحيى الوارجلاني(ت474هـ/1081م) (1)

أ.الزرويل صالح/ قسم التاريخ/ جامعة غرداية
salahistory@gmail.com

ملخص المقال:

يتناول البحث حياة الشيخ أبي زكرياء يحي بن أبي بكر الوارجلاني ومنهجه في الكتابة التاريخية، وهو مؤرخ من مؤرخي العصر الوسيط والذي لم يتم تسليط الضوء عليه بعد لأسباب عدة، لذا رأيت من الأجدر الكتابة والبحث في حياته وعصره في جزء أول، ثم التطرق إلى مؤلفاته ومنهج الكتابة لديه في جزء ثان، هو من أوائل المؤرخين الاباضيين في بلاد المغرب الإسلامي بشهادة المستشرقين والمؤرخين المعاصرين ولا أدلّ على ذلك كتابه: السيرة وأخبار الأئمة الذي يعتبر من أقدم ما كتب عن إباضية المغرب عامة والمغرب الأدنى والأوسط. وهو عمدة الكتابات التاريخية الإباضية.

هو من إحدى قرى وارجلان–ورقلة حاليا جنوب الجزائر–التي كانت حلقة وصل تجارية بين غانا وتيهرت والقيروان، أين شب وترعرع وتتلمذ في كُتّابها ومساجدها العامرة على يد مشايخ أجلاّء، ثم انتقل بعد ذلك إلى ربوع الإباضية طلبا للعلم، في وادي ريغ، وسوف وبلاد الجريد ونفوسة وغيرها، عاش الوارجلاني عصر الازدهار والحركة العلمية في أوجها فمنطقة بلاد المغرب كانت تعج بالمشايخ والعلماء، الذين جلس بين أيديهم وسمع منهم مختلف العلوم والفنون كالتاريخ والسير والفقه وعلم الكلام، وأخص بالذكر منهم شيخه: أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي القابسي.

كان معروفا بورعه، وفضله وسعة فنونه، وغزارة علمه، كما شهد له بذلك من أخذوا عنه، منهم الشيخ ابو العباس الدرجيني، وقد ترك مؤلفات عدة في علم الكلام والفقه وغير ذلك، معظمها في عداد المفقود، لم يبق منها سوى مؤلفه التاريخي: سير أبي زكرياء أو كتاب السيرة وأخبار الأئمة.

عاش فترة من حياته متنقلا بين القرى والتجمعات الإباضية، الى أن عاد الى وارجلان مسقط رأسه حيث توفي ودفن هناك على الأرجح سنة 474هـ/1081م.

Le résumé

Cet article traite la vie de cheikh Abou Zakaria Yahia bin Abi Bakr Al-ouargelani et ça méthodologie en histoire, historien des historiens du Moyen Age et qui n'a pas encore été mis en évidence, pour diverses raisons, de sorte que je vis la meilleure pour l'écriture et la recherche dans la vie et l'époque dans la première partie, puis adressé ses écrits et approche de l'écriture a une deuxième partie , il est l'un des historiens premiers Ibadites dans le Maghreb islamique selon le témoignage des orientalistes et des historiens contemporains, avec son livre: Sira wa akhbar el Aimma qui est l'un des plus anciens livres sur les Ibadhias du Maghreb en générale, et le Maroc central et Ifriqiya, en particulier, il était la source des écrits historiques ibadite.

Est l'un des villages et Ouargelan (actuellement Ouargla) au sud d'Algérie qui a été l'épisode un lien commercial entre le Ghana et Tihart et Kairouan- Où élevé et instruit dans ses mosquées sous les mains des anciens Oulamas, puis déplacé à toute demande ibadite d'information, dans la vallée du Rig, et Souf (sud-est d'Algérie) et Eljarid(au sud de la Tunisie) et Nafussa(nord-ouest de la Libye) et d'autres, Al-ouargelani ère de

prospérité et de mouvement scientifique vivaient à l'apogée de la région du Maghreb grouillait de ses savants et les masheikhs, qui étaient assis dans leurs mains, et les entendre diverses sciences et des arts tels que l'histoire, Siar, la jurisprudence, la théologie et les mentionner Sheikh spéciale: Abu Rabiaa Sulaiman bin yakhlouf Almazzati AlGabissi.

Il était connu par sa générosité et sa capacité des arts, et l'abondance de ses sciences, et lui si Sheikh Abul Abbas Aldrgeni et d'autres a vu, a laissé plusieurs ouvrages sur la théologie et la jurisprudence et ainsi de suite, la plupart du temps en perte de compteur, seul ouvrage historique: Sir Abu Zakaria ou biographes .

Il a vécu une grande partie de sa vie à voyager entre les villages et les communautés ibadite, à retourner dans sa ville natale, où il est mort et il a été enterré probablement 474 AH / 1081 AD.

أبو زكرياء يحيى الوارجلاني ومنهجه في الكتابة التاريخية

حياته وعصره:

هو أبو زكرياء يحي بن أبي بكر بن سعيد اليهراسني (اليراسني) الوارِجلاني،[1] نسبة الى بني يهراسن أو يراسن،[2] وهي قبيلة بربرية امتدّت مضاربها ما بين جزيرة جربة، و جبل نفوسة و بلاد الجريد، ونسبته إلى هذه القبيلة، لتدلّ على أصله ولغته الأمازيغية الأم، وإن

كان ذلك لم يكن ليؤثر كثيرا على أسلوب كتابته ولغتها، إذ سنجده يكتب باللغة العربية التي يبدو أنه أتقنها إلى حد بعيد.

وُلد بوارجلان[3]، أو بقرية تماوط على حد تعبير تاديوسليفيتسكيTadeuszLewicki، كما نستدلّ من نسبته إليها و منها أصله، وقد يكون أحد أجداده قد انتقل للعيش فيها في فترة ما، وتسكت المصادر عن سنة ميلاده، ويمكن القول بأنه من مواليد نهاية القرن الرابع وبداية القرن الخامس الهجري/ العاشر والحادي عشر للميلاد.

تُحدّد المصادر منشأه في وارجلان، التي عاش فيها،[4] أو في إحدى قراها العامرة، مدة من الزمن قبل أن ينتقل إلى بلاد أريغ لتلقّي العلم، ولا نملك أيّ تاريخ دقيق له، ولا هو ذكر أو لمح إلى ذلك في سيره، وقد ذكر أبو عمار عبد الكافي التناوتي الوارجلاني في قائمته شيخاً عاش في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر للميلاد، واسمه يحيى بن أبي بكر وهو على الأرجح أبو زكرياء.[5]

ويذهب بعض المؤرخين إلى أن تاريخ سقوط الدولة الرستمية على يد الفاطميين سنة 296هـ/909م، لم يكن ببعيد عن فترة حياة الوارجلاني إذ أنه من المحتمل أن يكون قد عاصر آخر أيامها،[6]وهذا مستبعد بالنظر إلى الفارق الزمني الشاسع بين التاريخ المذكور، وتاريخ وفاته في أواخر القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر للميلاد.

لم نجد في بطون المصادر والمراجع سوى النزر اليسير عن أفراد أسرة أبي زكرياء، التي كانت مقيمة على الأرجح في وارجلان، أو في ضواحيها القريبة، وبالذات قرية تماوط التي ذكرها ليفيتسكي فالشيخ أبو زكرياء قد طالت مدة غيابه عن مسقط رأسه طيلة سنين تعلّمه، وهو في بلاد أريغ،[7]وتشير المصادر إلى بعض أفراد عائلته دون ذكر للتفاصيل، فقد اشتهرت أسرته بالعلم والعلماء، وهم دار علم وتقى وشهرة في الخير، ولم ينقطع الإسلام منهم، ومن هؤلاء: أخوه أبو يحيى زكرياء بن أبي بكر بن سعيد اليراسني

(ت508هـ/1114م)–الذي يبدو أنه أصغر منه سنّاً– وهو عالم فقيه وشيخ تقيّ، سكن درجين ببلاد الجريد التونسي، ثم انتقل إلى وارجلان، وكان معاصراً لأبي عمّار عبد الكافي التناوتي الوارجلاني، وله باع طويل في المناظرة، ومأثورات وأقوال خالدة متناثرة في بطون الدفاتر والسير، روى عنه أبو يحي إسماعيل، واستشهَد أبوعمرو عثمان السوفي بأقواله وآرائه، وكان يُقصد للفتوى، فكان من الفضلاء والأبرار الأتقياء، كان أبو يحي زكرياء بن أبي بكر وارجلاني المولد، وريغي التعلّم، أما وفاته فكانت في جزيرة جربة.

ومن أقاربه المذكورين في كتب المصادر: خاله أبو حمزة إسحاق بن إبراهيم بن أبي طاهر إسماعيل بن أبي زكرياء اليزماتي المزاتي،الذي تلقى عنه نصيبا من العلم، وابنه إبراهيم بن يحي بن أبي بكر بن سعيد اليهراسني الوارجلاني، وهو من الطبقة الحادية عشرة (500-550هـ/1106-1155م)، والذي كان من شيوخ وارجلان.

أمّا باقي أفراد أسرته مثل أبيه أبي بكر، فلا تطلعنا المصادر عليهم، ويمكن القول بأن أسرته كانت مستقرة، وتمارس حياتها في وارجلان، أو في إحدى قراها القريبة، بدليل أن ابنه إبراهيم كان من شيوخها، فلاشكّ أنه كان مقيماً مع عائلته فيها، ويمارس حياته كعالم، وواعظ في المسجد، كما هو لدى نظام الإباضية، في حين أن أباه كان يرتحل للعلم والتعليم، مبتعدا عن شواغل الأهل، متفرغا للتحصيل، تاركا عائلته في مسقط رأسه، وهذا دأب معظم المشايخ، فهم في رحلات إما داخلية نحو المراكز العلمية المنتشرة في بلاد المغرب الأوسط والأدنى، أو في رحلات خارجية، قد تمتد وجهتها إلى المشرق حيث البقاع المقدسة، والأندلس حيث العلم والعلماء.

كان الوارجلاني مثله مثل معظم سكان الواحة يشتغل بالزراعة للاسترزاق، فلم يشغله العمل العلمي والاجتماعي عن السعي لكسب الرزق، ويبدو أنه كان صاحب ضيعات زراعية وخيرات كثيرة، بدليل أن المصادر وصفته بأنه كان فلاّحاً كريما وسخياً، ينفق في سبيل العلم وطلبته، فهذا أبو عبد الله محمد بن بكر قد امتلك عدة ضيعات،

وأصبح يستضيف العزابة عنده،[8] لكن لانعلم فيما إذا كانت مزارعه في وارجلان، أم في وادي أريغ، التي مكث بها مدة ليست باليسيرة، وعلى الأرجح كانت في وادي أريغ، ونستشف ذلك من حلقات العلم التي كان يعقدها في تلك الديار، ولطول فترة بقائه فيها.

وهناك إشارة في سير الوسياني مفادها " أنّ الشيخ أبي زكرياء يحيى بن أبي بكر حصد عنده العزابة، .....، وهذا في غابته المنسوبة إليه."[9]وهذا دليل واضح بأن للوارجلاني حقلا ذو أشجار وغلات يملكه، وأنه كان يمارس الزراعة فيه بنفسه أو لديه مستأجرين يخدمونه، ويبدو أنه أيضا كان يستضيف العزابة فيه، إلى جانب ذلك فقد كان له قطيع من الغنم يطلقها صباحا لترعى في المزارع وتعود إليه دون أذى،[10]وكان هذا حال أغلب مشايخ عصره، بين حِلّ مؤقت، و تِرحال مستمرّ بين القرى والمدن العامرة بالإباضية وقتذاك، كوارجلان ووادي أريغ، وبلاد الجريد ونفوسة،[11]وحتى جربة، حيث تجدهم مقبلين على العلم والتعليم والعبادة، مدبرين عن الدنيا ومفاتنها، زهّاداً، مكتفين بما يسدّ رمقهم، منفقين بأموالهم في سبيل الله.

الحياة العلمية في عصره:

لم يكد يأفل نجم الدولة الرستمية بتيهرت، حتى عجّت منطقة أسوف، وأريغ، ووارجلان، والجريد[12] وحتى جربة[13] بالعلماء، خاصة بعد اهتمامهم بإنشاء حلقات العلم والتأليف، ما بين (ق 3-7هـ/9-13م)، فالإباضية في هذه الفترة، قد أثرَوا الحياة الثقافية في بلاد المغرب، فازدادت حركة التأليف، إذ أن انتقالهم من إمامة الظهور إلى إمامة الكتمان جعلهم يهتمون بتدوين وتأليف الكتب، في مختلف المجالات خاصة الفقهية منها، حفاظا على استمرار مذهبهم وتراثهم الثقافي، فقد ظلوا محافظين على تقاليدهم المذهبية التي انعكست على فكرهم التاريخي، وكانوا بحاجة لكتب الفقه والعقيدة أكثر من حاجتهم إلى كتب التاريخ؛ التي كانت تدرّس جنبا إلى جنب مع باقي العلوم الأخرى

خاصة ما تعلّق بتاريخ مذهبهم وأخبار الدعاة الأوائل، وأئمة الدولة الرستمية وسير علمائهم.[14]

وأصبحت من بين مراكز العلم المنتشرة آنذاك في إفريقية، والمغربين الأقصى والأوسط، كالقيروان وفاس وتلمسان، وما امتازت به هذه المنطقة —وارجلان- عن باقي المناطق أنّها كانت أكثر أمناً و أمانا، فكلّما تَأزّمَت الأمور يفرّ إليها المشايخ، من الظلم والجور لسلامتها، طلباً للاستقرار والطمأنينة والأمن.[15]

ولقد شهدت المنطقة حركة علمية متميزة، برز فيها علماء أجلاّء في مختلف الفنون العلمية، نذكر منهم مشايخ الطبقة التاسعة، والعاشرة حسب تصنيف صاحب كتاب الطبقات أبي العباس الدرجيني، وهي الموافقة لفترة البحث:[16]

من علماء الطبقة التاسعة (400-450هـ/1009-1058م):

1-أبو عبد الله محمد بن بكر بن أبي بكر الفرسطائي النفوسي(345-440هـ/956-1049م)

2-أبو الخطاب عبد السلام بن منصور بن أبي وزجون المزاتي(ت440هـ/1009م)

3-أبوعمران موسى بن زكرياءالمزاتي الزمريني الدمّري (حيّ405هـ/1014م)

4-أبوزكرياء يحيى بن ويجمّن الهواري(ت467هـ/1074م)

5-أبو يعقوب يوسف بن سهلون (400-450هـ/1009-1058م)

من الطبقة العاشرة (450-500هـ/1058-1106م):

6-أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي القابسي(ت471هـ/1078م)

7-أبو محمد ماكسن بن الخير بن محمد الجرامي الوسياني(ت491هـ/1097م)

8-سجميمان بن سعيد الصاويني (ت513هـ/1124م)

هؤلاء ثلّة من مشايخ وارجلان وقراها، ووادي ريغ وقراه، والقيروان، منهم من كانت المنطقة مسقط رأسه، ومنهم من جاء من نواحي أخرى وتعلم فيها، ومنهم من كانت له صلة بالوارجلاني إما شيخا له أومن معاصريه.

وبالعودة إلى الحركة العلمية في وارجلان والحواضر الإباضية الأخرى، في فترة القرنين الخامس والسادس الهجريين/ الحادي عشر والثاني عشر للميلاد، نجد أن ما يميزها كثرة المساجد ودور العبادة،[17] التي لم تكن تؤدي دوراً دينيا كإقامة الصلوات، وعقد مجالس الذكر، ونشر مبادئ الإسلام والثقافة الإسلامية فحسب، وإنّما كان لها دور تعليمي، تمثّل في تعلم العلوم الشرعية واللغة العربية، وسائر الفنون والعلوم الأخرى، خاصة وأن جلّ سكانها من بربر زناتة وغيرها من القبائل التي لا تجيد اللغة العربية، وعلومها، فقد دأبوا على تعلّمها وتعليمها، لفهم القرآن وأحكامه، والسنة النبوية، وآثار الأولين من الصحابة والتابعين.

فاتخذوا من المساجد مدارس، لحِلَق العلم بنظام صارم دقيق، يجعل طالب العلم يخضع لقوانين في هيأته، وسلوكه ومعاملاته، وطريقة تحصيله، ومما ساهم في تكريس هذه الطريقة نشأة نظام الحلقة[18] أو نظام العزابة سنة(409هـ/1018م) في غار تينيسلي أو الغار التسعي بأريغ، على يد أبي عبد الله محمد بن بكر بن أبي بكر الفرسطائي النفوسي،[19] النظام الذي جمع بين التعليم والدين.

وبما أن عصر الوارجلاني كان من أزهى العصور، فقد عاش في كنف منطقة هي قبلة للعلم والعلماء، ويبدو أنه كان واحدا من علماء عصره، الذين ملؤوا وارجلان وأريغ ونفوسة بحلقات العلم، فمن هذا الباب يجمل بنا أن نعرّج على ذكر جملة من المشايخ الذين كانوا معاصرين له، وقد يكون له اتصال بأغلبهم، إما كزملاء أو أصدقاء الدراسة، أو قد سمع شيئا من أخبارهم، منهم المذكورون آنفا من الطبقتين التاسعة والعاشرة حسب

تصنيف الدرجيني، والمصادر والمراجع التي بين أيدينا لا تطلعنا على الكثير من جوانب حياتهم، والترجمة لحياتهم بلا شك ميدان خصب للبحث والدراسة:

1-موسى بن علي بن أبي علي الياجراني أبو عمران (450-500هـ)

2-جنون بن علي بن أبي علي (450-500هـ)

3-يعقوب بن أبي القاسم بن يونس بن وزجين الويليلي (ق5هـ/11م)

4-علي بن منصور اليراسني(ق5هـ/11م)

5-إبراهيم بن يوسف أبو إسحاق

6-أبو محمد ماكسن بن الخير الجرامي الوسياني

7-أبو القاسم يونس بن أَجاج (عاش في النصف الثاني من القرن 5هـ/11م)

8- أبو موسى عيسى بن يرصوكسن الويليلي(450-500هـ/1058-1106م)

9-أبو محمد عبد الله بن محمد اللنثي (500-550هـ)

10-أبو العباس أحمد بن محمد بن بكر بن أبي بكر بن يوسف الفرسطائي النفوسي (ت:504هـ/1111م)

11-أبو هارون موسى بن علي

12-أبو عمار عبد الكافي بن أبي يعقوب التناوتي الوارجلاني (ت قبل:570هـ/1174م)

13-عبّود بن منار الهزّاني أو المزاتي(عاش في النصف الثاني من ق5هـ/11م)

14-معاذ بن أبي علي (ق:5هـ/11م)

15-يعقوب بن أبي يعقوب

16-يعقوب بن يوسف الياجراني

17-أبو الربيع سليمان بن موسى بن عمر الزلغيني الدرجيني(400-450هـ)

رحلته في طلب العلم:

ترعرع أبو زكرياء في وارجلان وشبّ فيها، حيث كانت هناك نهضة علمية قوية وسلطة روحية، انتقلت إليها إثر سقوط الإمامة في تيهرت لكونها بعيدة عن التيارات السياسية والدول المتنافسة، ولكونها حلقة وصل تجارية بين غانا وتيهرت والقيروان، فقد كانت وارجلان مسبكة الذهب، فأمّها الناس من شتى الجهات طالبين فيها الرخاء والأمن والاستقرار، وبذلك جمعَت بين العلم والتجارة، ولاشكّ في أن الوارجلاني قد أمضى سنين طفولته فيها بين أقرانه، وتدرّج في مراحل التعليم الأولى من المحضرة إلى الكتّاب فالمسجد، وهذا حال معظم مشايخ الإباضية.

وفي فترة شبابه انتقل إلى وادي أريغ لتلقّي العلم، على يد نخبة من العلماء أبرزهم: أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي، فعلى حدّ قول الجعبيري فإن هناك من المدارس ثلاثة: في الأولى شيخ من الأشياخ يعلّم التلاميذ الأدب والسير، وفي الثانية يتم تعليمهم القرآن والإعراب، والنحو، وفي الثالثة يصلون إلى من يعلمهم الدين والعلم والأصول،[20] ولعلّ هذه الطريقة كانت معروفة آنذاك ومنتشرة في أغلب مواطن الإباضية، وقد تكون هناك أسباب أخرى دفعته للخروج من وارجلان .

وعلى كلٍّ فقد زاول دراسة التاريخ والسّير (الآثار)في وارجلان، وفي وادي أريغ على يد خاله الشيخ أبي حمزة إسحاق بن إبراهيم، ويذكر أبو زكرياء في سيره، أنه قد ترك هذه الواحة–وارجلان– سنة 460هـ/1067م، وانتقل الى بلاد طرابلس، وكان في بداية عام 461هـ/1068م يسكن تمولست[21] ببلاد الجريد،[22] حيث كان يدرّس الراوي الشهير والمؤرخ الاباضي أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي، وتابع دروس هذا الشيخ لمدة عشر سنين.

وفي عام 471هـ/1078م، أراد هو ومن معه العودة إلى وارجلان، وتركِ تمولست والافتراق عن معلّمه، فشيّعهم الشيخ أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي ووصّاهم، وقد توفي بعد ذلك بقليل في السنة نفسها، وعلِم بذلك أبو زكرياء في تين وال–محلّة قريبة من

آجلو- حيث كان قد استقرّ لبعض الوقت، واختلط بالعلماء البارزين في هذا البلد، منهم: الشيخ ماكسن، و الشيخ مَزيَن".[2] يبدو أن أبا زكرياء كان قد وصل أجلو وهو في طريقه، هو ومن معه إلى وارجلان لما جاءه خبر وفاة شيخه، والملاحظ أنه حتى في طريق عودته إلى مسقط رأسه لم يضيع أية فرصة للقاء مشايخ أجلو، وقد يكون الحال كذلك مع جلّ مشايخ القرى التي مر بها.

وفي سنة 474هـ/1081-1082م ترك وادي ريغ واستقرّ في واحة وارجلان، في قرية تماوط التي كانت مسقط رأسه ، ومن المحتمل أن روايات ليفيتسكي صحيحة في مسار تنقلات أبي زكرياء، فكان شيخه أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي قد أخذ العلم عنه خلق كثير لاتخاذه حلقة متنقّلة بين مواطن الإباضية ويخرج معه من تلامذته النجباء بدءاً من جربة في الشرق، ووصولاً إلى وارجلان في الغرب، مروراً بجبل نفوسة، فتمولست ثم قلعة بني علي، ثم أسوف، فوغلانة، ثم تماسين، ثم وارجلان في عام الزيارة سنة 449هـ/1057م، ثم البكرات –ربوات رملية جبلية تقع شرق وارجلان –في بداية 450هـ/1058م، ثم يعود إلى زنزفة، ثم الجبل حيث منزله بتمولست سنة 462هـ/1069م ثم بتونين،وفي كل بلدة يبقى للتعلم والتعليم يجتمع عليهم أهلها وكثير من طلاّب العلم، وهذا دأب مشايخ عصره في ترحال دائم لا يُعرف لهم مستقر، وما إن يصل خبر قدوم أحدهم إلا وتجد التلامذة يتسابقون لحضور حلقاته، والاغتراف من علمه وأخلاقه.

من هذا نستخلص أن أبا زكرياء قد تعددت تنقلاته، ما بين بلاد أريغ وتمولست وطرابلس، وهو يقدّم لنا مثالا حيّاً لظاهرة تنقّل العلماء في العالم الإسلامي الوسيط.

وقد تتلمذ على يد أبي الربيع سليمان بن يخلف المزاتي، ولا تشير المصادر إلى مناطق أخرى من المحتمل أن يكون قد زارها، ولو لفترة وجيزة، كجبل نفوسة وجزيرة جربة، فقد أصبح من المألوف أن يعمد المؤرخ إلى التجوال، ليس لطلب العلم فحسب في

الحواضر الشهيرة، ولكن تلمّساً للحقيقة التاريخية من منابعها، وهذا ما ظهر جليا في سيره التي دوّنها.

ومما يُروَى عن أبي زكرياء، –و على لسان أحد تلاميذ أبي الربيع– أن تلاميذ أبي الربيع سليمان بن يخلف أرادوا الطلوع إلى جبل دُمّر[23] من تمولست، لمدارسة الكتب، ولم يعجب ذلك الشيخ أبا الربيع ولا أبا زكريا يحي بن أبي بكر، فمضوا على ذلك، فشيّعهم أبو زكرياء فقال : "اعلموا أن سوء الرأي، إنما يخرج منه من دخله بالرجوع على أثره لا بالتمادي فيه"[24]،وهذا منه تحريض على طلب العلم، والاستزادة منه، وعدم التوقف قبل إتمام الدراسة، وكان كثيرا ما يوصي ويقول: "إيّاكم وقبول صنائع الناس وهداياهم وجميلهم فإنه قيل: "كن عبد الله و لا تكن عبد الناس"، وأنشد في هذا المعنى:

ولست وإن قُرِّبت يوما ببائع لديني وأخلاقي رجاء التقـــرب

ويعتاده قوم لقوم تجـــــارة ويمنعني من ذلك ديني ومنصبي

اشتهر أبو زكرياء بالصفات والأخلاق الحميدة، فهو شيخ داعية قبل أن يكون شيخ حلقة، والداعية يجب أن يكون قدوة في المقام الأول، فالرجال يُعرفون بأخلاقهم قبل أعمالهم، وما جلوس التلاميذ بين يديه، كبيرهم وصغيرهم، وحتى النساء، إلا دليل على تواضعه ودماثة أخلاقه، فهذا يسأله عن مسألة فقهية، وذاك عن سيرة شيخ من المشايخ، وآخر عن تفسير آية أو حديث نبوي، ورابع عن علم الكلام الذي كان له فيه باع طويل.

فالدرجيني في طبقاته يصفه هو وأخوه أبو يحي زكرياء قائلا: "كانا من الأفاضل، المقتفين آثار الأوائل..."[25]وكان معروفا بورعه، وفضله وسعة فنونه، وغزارة عيونه....وفضل كتاب الشيخ بفضيلة الشيخ .....وهذا ألطف ما يكون من الإشارة، كما عبّر البرادي.[26]

آثاره العلمية:

كان الوارجلاني وأخوه زكرياء من العلماء المشهورين في وارجلان وفي غيرها من مناطق الإباضية، فالدرجيني يقول واصفاً أبا زكرياء يحي وأخاه أبا يحي زكرياء: " ...لم يزل نفَسُ الدّيانة بحياتهما حيّاً،...وطلب علوم المذهب وسِير من تنسّك ترهب [قائمة]، ولهما في علوم النظر أطول باع، بأدلّة ذات إقناع، وحجج تملأ القلوب والأسماع، وتُغني عند المحاضرة ما لا تُغني المشرفية عند القِراع، فكانا مُتراءى النّارين، على تباعد الدّارين"،[27] وهو وصف يدل على شهرة الأخوين وذيع صيتهما عند إباضية المغرب، وما شهرتهما إلا بأخلاقهما وعلمهما وتواضعهما وهذا من شيم العلماء.

ويروي الشيخ علي يحي معمر أن عائشة بنت معاذ قد جمعها يوما مجلس مع أبي زكرياء فناقشته في كثير من مسائل علم الكلام،[28] منها يتضح أن أبا زكرياء لم يكن مؤرخا فحسب كما هو معروف، بل كان من المتفقّهين في الشريعة الإسلامية على المذهب الإباضي، وصاحب فتوى، وله مسائل كلامية، ورسائل فقهية متعددة، وقد تكون له مؤلفات في هذا المجال، إما كتبها بنفسه أو أملاها على تلاميذه فتلك طريقة شائعة في زمانه، وهو من المتكلمين، أي المتخصصين في علوم النظر وهي: علم الكلام، ودليل ذلك المسائل الفقهية المتعددة التي سُئِل عنها وأفتى فيها، ومن جهة أخرى فقد كانت حلقاته مفتوحة حتى للنساء، اللواتي يحضرن لتلقي العلم ومساءلة الشيخ عن مسائل فقهية وغيرها، ويبدو أن الشيخ يخصص لهن وقتا خاصا لذلك.

وقد روّج البرادي أن أبا زكرياء قد ألّف عدداً من الرسائل في الفقه والمسائل، غير أنه (البرادي) لم يحدّدها، ويبدو أنها فُقِدت، إضافة إلى رسائل وبيانات متعلقة بعلم الكلام العقائدي، كما كان قد أعلن عن مؤلَّف آخر ذي أهمية كبرى سوف يبحث في الفِرَق التي نشأت ضمن الإباضية؛ ويبدو للأسف أنّه لم يكتب هذا المؤلَّف أبداً، إذ لم يُبقِ له أيّ أثرٍ، كما لم تذكره الآثار الأدبية الإباضية، وقد تكشف الأيام عنها أو عن بعضها، في مكتبة عامة أو في خزانة خاصة، أو في أي مكان آخر.

رغم غياب وفقدان العديد من المؤلفات الفقهية لأبي زكرياء، إلاّ أن مؤلَّفه التاريخي: سير أبي زكرياء، يبقى لحدّ الآن أهمّ مؤلَّف تركه أبو زكرياء يحي بن أبي بكر الوارجلاني، وعليه اعتمد كل أصحاب السير، والطبقات الإباضية، والمتخصصين منهم في التاريخ الإباضي، الذين جاؤوا من بعده إلى يومنا هذا، وله فضل السبق في ذلك. وما المسائل الفقهية المذكورة فيه إلا إشارة إلى ضلوعه في الفقه، وعلم الكلام، والظاهر أنه أضاف تلك المسائل إلى كتابه إيمانا منه بالارتباط الوثيق بين السيرة والتاريخ والفقه، وليكون موسوعة يستفيد منها طالب العلم في مختلف حواضر بلاد المغرب، ويذكر البرادي نقلاً عن الدرجيني أن سبب تأليف كتاب الطبقات هو أن جماعة من عُمان قدموا جربة، يطلبون كتابا يتضمن سير الأوائل، ومناقب الأسلاف من أهل المغرب، فنظروا في كتاب أبي زكرياء فوجدوه مخلاّ ببعض التفصيل قاصرا دون أمد التحصيل، فلم يروا أهلا لهذا التصنيف غير أبي العباس.

من هنا يمكن القول بأنّ كتاب سير أبي زكرياء كان يُعتمد للتدريس، وقد تكون هناك مصنفات أخرى، إما في التاريخ والسير أو في مجالات أخرى، وهو معروف لدى طلبة ومشايخ جزيرة جربة، فضلا عن تلاميذ ومشايخ وارجلان والمناطق الأخرى، فقد ذاع صيته وانتشر في مختلف تلك الربوع، ويبدو أنه من بين الكتب القليلة، إن لم نقل الوحيد في مجال التاريخ والآثار والسير، الذي كان يُتداول بين التلاميذ والمشايخ. وهو أقدم أثر تاريخي ذي قيمة للاباضيين في المغرب الإسلامي حتى عصر المؤلِّف، وللكتاب ترجمة ملخصة إلى الفرنسية.

شيوخه وتلاميذه:

تتلمذ أبو زكرياء على يد شيوخ كبار أجلاّء – قد سبقت الإشارة إلى بعضهم– ، والذين كان لهم الفضل في نبوغه وبروزه، وشهرته كمؤرخ وفقيه ومناظر في علم الكلام، في مساجد وارجلان، ووادي أريغ، وبلاد الجريد وطرابلس ومن بين هؤلاء المشايخ نذكر:

1- أبو حمزة إسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل الزلغيني

2- أبو الربيع سليمان بن يخلف الوسلاتي القابسي المزاتي النفطي (ت471هـ/1078م)

3- أبو زكرياء يحيى بن الخير بن أبي الخير الجناوني (ق5هـ/11م)

4- أبو عبد الله مزين بن عبد الله الوسياني(450-500هـ/1058-1106م)

5- أبو يحيى زكرياء بن أبي زكرياء فصيل بن يسجا بن يوجين اليراسني (ت508هـ/1114م)

على هؤلاء المشايخ وبين هؤلاء الأعلام، تتلمذ ونشأ أبو زكرياء، وأخذ عنهم علومه بمختلف أنواعها سواء في وارجلان، أوبلاد أريغ، أونفوسة، وكان لهم الفضل الجليل لنبوغه هو وأقرانه في زمانه، ولهؤلاء أثرهم البالغ في تكوينه العلمي وسموه الخلقي، وجمع في شخصه كثيرا مما تفرق بينهم، من مميزات وخصائص العلم والأخلاق.

ولا يمكن القول بأننا أحصينا كل العلماء و المشايخ –أساتذته- فقد يكون هناك العديد ممن لم نصل إلى التعرّف عليهم، وترجمة حياتهم، وبما أنه كان تلميذا يتلقى العلم منهم، فقد ترقى في الدرجات، حتى صار هو كذلك من طينتهم التي لا تكاد تنطفئ، حتى تخلّف أجيالا من العلماء.

قرأ على يد أبي زكرياء جماعة من التلامذة فنجبوا، وطلبوا ففازوا بما طلبوا، وهم مجموعة من كبار العلماء والفقهاء، والمؤرخين وكاتبي السير، حملوا مشعل العلم من بعده وتخلقوا بأخلاقه وصفاته، وصلتنا عنهم روايات في كتب التراث منهم:

1-أبو نوح صالح بن إبراهيم بن يوسف الزمريني المزاتي التجممي (حيّ في:557هـ/1161م)

2-أبو الربيع سليمان بن عبد السلام الوسياني(حي في557هـ/1161م)

3-أبو عمرو عثمان بن خليفة السوفي المارغني (500-550هـ)

4-إبراهيم بن أبي إبراهيم مطكوداسن بن يخلف بن مالك الدجمي المزاتي الغرماني(ت قبل 504هـ/1110م)

5-سعيد بن عمّار الزواغي(النصف الثاني ق5هـ/11م)

6-عائشة بنت معاذ بن أبي علي(ق5هـ/11م)

7- أبو عمار عبد الكافي بن أبي يعقوب التناوتي الوارجلاني (ت قبل570هـ/1174م)

8-أبوسهل يحي بن إبراهيم بن سليمان بن زرقون بن ويجمان(550-600هـ/1155-1203م)

9-أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم بن مناد السدراتي الوارجلاني(ت 570هـ/1174م)

هؤلاء ثلة من تلاميذ الشيخ أبي زكرياء، قد يكون عددهم أكبر من ذلك بكثير، فمن المؤكد أن مجالسه وحلقه العلمية في أي منطقة زارها من مناطق الإباضية كانت تعج بالتلاميذ، بعد سماعهم بقدوم الشيخ الوارجلاني إلى قريتهم، وهم يستعدون لذلك أياما قبل مجيئه، وتلك الحلق كان يحضرها الكبار والصغار وحتى النساء من مختلف الأعمار، وقد يحضرها حتى تلاميذ من مدن أخرى رغبة في لقاء الشيخ والنهل من معارفه.

هذا ويمكن القول بأن معظم من عاصر الشيخ أبا زكرياء تجده إما شيخا له، أو أحد تلاميذه، أو التقى به في إحدى الزيارات المتعددة للمشايخ، التي كانوا يقومون بها لتفقد أحوال بعضهم بعضاً في مناطق وجودهم، بين جربة ونفوسة، وبلاد الجريد إلى وارجلان، مرورا بأريغ وسوف، وقد تتضارب الأخبار بين المصادر عن الشيخ وتلميذه، أي الجواب عن السؤال: من علّم من؟ ومن أخذ عمّن؟، ففي أحيان كثيرة نجد شيخا لأبي زكرياء، وفي نفس الوقت تلميذا له، حيث تذكر المصادر أنه أخذ عنه، أو روى عنه روايات، فلا نعلم مَن الشيخ؟ ومَن التلميذ؟ في مثل هذه الحالات.

هـ-مكانته التاريخية:

إن الحديث عن مكانة الشيخ أبي زكرياء يحي الوارجلاني التاريخية يجرّنا إلى ذكر صفاته الخُلقية، فقد عُرف بالفضل وسعة العلم، وغزارته وتواضعه، وورعه وصلاحه، وقد اقتفى آثار الأوائل، فتمتع بمكانة علمية مرمورقة،[29] ولا أدلّ على ذلك حجم الروايات التي نُقلت عنه، وهي تدلّ على مدى الثقة التي اكتساها عند المؤرخين والإخباريين، المعاصرين له أو المتأخرين عنه، فكلامه يُعدّ من أوثق الأخبار، وخير مثال على ذلك الشيخ أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجينيالذي لم ير غير مؤلَّف أبي زكريا أهلاً لإرساله إلى إخوانه الإباضية في المشرق، فلم يكلّف نفسه عناء تأليف كتاب جديد، وإنما اعتمد الجزء الأول من كتاب الطبقات على كتاب السيرة بعد تهذيبه وتنقيحه.

فهذا أبو القاسم البرادي يقول فيه أنا: "متيقن أن الماء يطيب بطيب مورده وإن كان أجاجا..."،[30] وهو مَثَل ضُرب في كتاب أبي العباس وكتاب أبي زكرياء، ويضيف في موضع آخر: "وفضل كتاب الشيخ بفضيلة الشيخ لا بفضيلة الكتاب"،[31] من هنا نستدل على قيمة الوارجلاني الأخلاقية التي يتمتع بها بين علماء عصره، فقد كان ذا فطنة وبصيرة وهي من سمات العلماء، وله مواقف عديدة جمعها الدرجيني في طبقاته منها:

جوابه عن حال أهل وارجلان لما سُئل عنهم فقال: "أمّا أنا ذهب بصري فلا أرى شيئا، ولا رأيت أحدا، وأمّا وارجلان خلت فما بها أحد."[32] أو كما أجابهم أيضا لما طلبوا منه الإقامة ليتأنسوا به: "قولوا أقم عندنا قليلا يَمُت قلبك"،[33] وذلك لما آل إليه أمر وارجلان وتغيّر أحوالها.

وكان نصوحا محبا للعلم، إذ كان يحث تلاميذه على عدم الاكتفاء بالقليل من العلم، فقد قال لتلاميذه يوما، وقد جاؤوا لموادعته: "إن مضيتم إلى أهاليكم على هذه الحالة، فأنتم كمن ترك الإسلام عمداً"،[34] وهذا ذنب عظيم.

وبالفعل كان أبو زكرياء مؤرخاً ورعاً، حبسه مذهبه الإباضي عن الافتراء، أو المبالغة لأن كل ذلك كذب، والكذب كبيرة تخلّد صاحبها في النار.

أما عن مكانة كتاب أبي زكرياء التاريخية بين كتب السيرة الإباضية الأخرى، فلاشك في أن له موقعا خاصا بينها، وهو موقع الصدارة، وأنه أرقى وأوفى مؤلَّف مكتوب عن إباضية المغرب،[35] كيف لا وهو بمثابة أمّ كلّ كتب السير والمناقب الإباضية خاصة، والتي أُلّفت من بعده، كالوسياني والبغطوري والدرجيني والشماخي، فقد ساهم به الوارجلاني في إنقاذ جزء من التراث الإباضي الشفهي في تلك الفترة، وإخراجه من حيّز الرواية الشفوية إلى المكتوبة، وكتابته تنم وتعبّر عن معطيات الواقع الاجتماعي والسياسي والفكري[36] للإباضية.

وفاتـــــــــه:

كما كان تاريخ ميلاده غامضا، فقد اختلفت المصادر في تحديد تاريخ وفاته، فالدرجيني في طبقاته قد صنّفه ضمن علماء الطبقة العاشرة (450-500هـ/1058-1106م)، وذكر الوسياني في سيره أنه توفي بعد سنة 474هـ/1081م، في حين أنّ هناك بعض المراجع التي ذهبت بعيدا في تحديد تاريخ الوفاة إلى بداية القرن السادس الهجري / الثاني عشر للميلاد، وبالتحديد بعد سنة 504هـ/1110م، أو قبل ذلك بكثير، وقد يكون هناك خلط في تاريخ وفاته بينه وبين أخيه أبا يحيى زكرياء بن أبي بكر والمتوفى سنة 508هـ/1114م، ويبدو أن أقرب تاريخ لوفاته هو سنة 474هـ/1081م، لأنه آخر تاريخ مذكور له في كتاب السيرة.

ويفيدنا ليفيتسكي[37] T . Lewicki أن الروايات الإباضية بوارجلان تذكر أنه دُفن إمّا بوارجلان أو بسدراتة، وذلك اعتماداً على زيغمونتسموغورفسكي ZygmuntSmogorzewski، ولم يتحقّق من ذلك، كما أشار فيما سبق الى مسقط رأسه بقرية تماوط في ضواحي وارجلان.

1- بحاز وآخرون: معجم أعلام الإباضية من ق (1-15هـ)، قسم المغرب، 4 أجزاء، المطبعة العربية، غرداية، ط1، 1999، 948/4، تر984. أما نسبة الوارجلاني فكلّ المصادر تذكره بذلك نسبة إلى وارجلان، أو بـ: الوارقلي نسبة إلى ورقلة ينظر: أبوزكرياء يحي بن أبي بكر: كتاب سير الأئمة وأخبارهم، تح و تع. إسماعيل العربي، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1979، ص13. مؤلف مجهول: كتاب المعلقات في أخبار و روايات أهل الدعوة، دراسة وتح الحاج سليمان بن ابراهيم بابزيز الوارجلاني، وزارة التراث والثقافة، مسقط، ط1، 2009، ص92.

2- **بنو يراسن أو يوراسن أو يهراسن:** هم من قبائل البربر الخارجة عن صُلب زناتة، و يبدو أنها كانت تعيش بين الجنوب الشرقي التونسي و الغرب الليبي.وهذا يدلّنا على بربريته، وقد يكون ذِكر أبي زكرياء لفضائل البربر من العجم في بدايات سيره تلميح منه إلى نسبه. انظر: أبو القاسم بن حوقل النصيبي: صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1992، ص102.

3-**وارجلان أووَرجَلان أو ورقلة أو ورغلة أو ورجلة أو وارکلا ووارکلی** عند ابن خلدون في عدة مواضع بفتح الواو وبعد الألف راء مفتوحة ثم كاف ساكنة وبعد اللام ألف ونون،أو أوريكليانامانوسUreceliana Manusالذي يماثل تقريبا العرق الأمازيغي القديم: وركلان Warjlan، أو Warglan، اسمها القديم هو: فجوهة، وبنو وارکلا هؤلاء إحدى بطون زناتة من ولد فريني بن جانا (من البربر ومجّانة)،إضافة إلى مزاتة، وبنو يفرن ومغراوة، ورئيسهم يعرف بالسلطان، كانت مواطنهم قبلة الزاب إلى الجنوب منه، واختطوا المصر المعروف بهم، وتقع بين إفريقية وبلاد الجريد على ثماني مراحل من بسكرة في القبلة، وهي مدينة في طرف الصحراء –جنوب الجزائر– وهي بلد خصيب كثير النخل والبساتين، بنوها قصورا متقاربة الخطة وفيها سبعة حصون للبرابر، كانت عاصمة لقرى كثيرة تتجاوز 120 بلدة بعضها مدينة وبعضها قرية، وأهلها أغلبهم من الإباضية، وهي بوابة التجارة إلى المفازة الصحراوية المفضية إلى بلاد السودان. أبو عبيد البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، دار الكتاب الاسلامي، القاهرة، بلا ت، ص182. الشريف الادريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مطبعة بريل، ليدن، 1863، ص121. شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي: معجم البلدان، 5أجزاء، دار صادر، بيروت، 1977، 371/5

4-أبوزكرياء: المصدر السابق، انظر مقدمة المحقق ص15.تاديوسليفيتسكي: المؤرخون الإباضيون في إفريقيا الشمالية، تر.ماهر جرار وريما جرار، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط1، 2000، ص134-135. عمرسليمان بوعصبانة: معالم الحضارة الإسلامية بوارجلان، دار نزهة الالباب،غرداية،ط2013،2، ص110. ينفرد ليفيتسكي بتحديد القرية التي كانت مسقط رأس الوارجلاني بقوله:" استقرّ في قرية تماوط والتي كانت مسقط رأسه على ما يبدو". ولا نعلم من أين استقى هذه المعلومة؟ ليفيتسكي: نفسه، ص135.

5- ليفيتسكي: المرجع السابق، ص134.

6- ومعلوم أن سقوط الدولة الرستمية كان في أواخر القرن الثالث الهجري 296هـ/909م، ووفاة أبي زكرياء كانت حوالي سنة 474هـ/1081م.

7- **بلاد أريغ أو وادي ريغ** : معناها السبخة بالبربرية، وتسمى بالزاب الأصغر أيضا، تُنسَب إلى قبيلة بني ريغة التي يتصل نسبها ببني مغراوة، وجدّهم الأوّل الديرت بي جانا، أي: جاناتن، أي زناتة. نزل الكثير منهم ما بين قصور الزاب ووارکلا، فاختطوا قرى كثيرة في عدوة وادٍ ينحدر من الغرب إلى الشرق، و كثر في قصورها العمران من ريغة هؤلاء، وبهم تُعرف لهذا العهد، وهم أكثرها. وهي الآن مدينة تقرت وضواحيها. انظر: الوسياني: الحموي: معجم، 124،113/3.ابن خلدون أبو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد: العبرو ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مراجعة أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، عمّان، الأردن، 2000، 132،1827/6. إبراهيم بن صالح بابا حمو أعزام: غصن البان في تاريخ وارجلان، دراسة وتح إبراهيم بحاز وسليمان بومعقل، مطبعة العالمية، غرداية، ط1، 2013، هامش رقم: 2 ص103.
André Rober: Le Souf monographie, Algérie, 2004, p32

8- فرحات الجعبيري: نظام العزابة عند الإباضية الوهبية في جربة، المعهد القومي للآثار والفنون، تونس، 1975، ص45.

9 -الوسياني أبو الربيع سليمان بن عبد السلام: سير الوسياني، دراسة وتح. عمر بن لقمان حمو سليمان بوعصبانة، 3 أجزاء، وزارة التراث والثقافة، مسقط، ط1، 2009،270/1

10-سعد زغلول عبد المجيد: هامش على مصادر تاريخ الإباضية في المغرب(دراسة لكتاب السير) أشغال المؤتمر الأول لتاريخ المغرب العربي وحضارته،ج1،الجامعة التونسية،تونس،1979، ص 71.

11- **نفوسة:** جبال عالية منيعة بالمغرب الأدنى-ليبيا-طولها مسيرة ثلاثة أيام، ببنه وبين القيروان 6أيام، وهو اسم قبيلة بربرية منسوبة إلى أبناء نفوس بن زحيك بن مادغيس الأبتر، ضاربة جذورها في الجبل المنسوب إليها، وفيه نحو ثلاثمائة قرية، وعدّة مدن منها: مدينة جادو وهي أم قراه، وشروس، وبه معشر الإباضية الوهبية، وهم قوم عجم الألسن، وبها قبيلة بنو زمّور، وقبائل أخرى منها: زناتة وزواغة. انظر: أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله ابن خُرداذبة: المسالك والممالك، مطبعة بريل، ليدن، 1889، ص90. أحمد بن أبي يعقوب ابن واضح اليعقوبي: كتاب البلدان، مطبعة بريل، ليدن، 1860، ص135. ابن حوقل: المرجع السابق، ص ص92-93. مؤلف مجهول: كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، تح سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد،1985، ص144. صالح معيوف: جبل نفوسة وعلاقته بالدولة الرستمية (من منتصف ق2هـ إلى أواخر ق3هـ)، منشورات مؤسسة تاوالت الثقافية، د م ن، 2006، ص21 وما بعدها. وانظر أيضا: Jean Despois : Le Djebel Nafoussa (tripolitaine) ; étude géographique, édition la rose paris, 1935. P46.

12- عمر سليمان بوعصبانة : الحياة العلمية بمنطقة أريغ ، دورية الحياة، ع.11، 2007، ص141. سامية مقري: التعليم عند الإباضية في بلاد المغرب من سقوط الدولة الرستمية إلى تأسيس نظام العزابة (296-409هـ/909-1018م)، ماجستير إشراف د.بوبة مجاني، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006، ص52.

13- **جربة:** كبرى الجزر في جنوب شرق تونس، مجاورة لليابسة، كانت آهلة بالإباضية منذ بدايات القرن 2هـ/8م، فقد كانت تابعة لإمامة أبي الخطاب ثم لإمامة الرستميين، أغلب سكانها من قبيلة لماية البربرية، برز دورها في الحركة الثقافية لبلاد المغرب الاسلامي. البكري: المرجع السابق، ص ص19-85. مجموعة من الباحثين: معجم مصطلحات الإباضية، جزأين، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، عُمان، 2008، 178/1.

14- مسعود مزهودي: الإباضية في المغرب الأوسط، جمعية التراث، القرارة، 1996، ص248،250.

15- عمار غرايسية: المدينة الدولة في المغرب الأوسط -وارجلان نموذجا-(ق4-6ه)، رسالة ماجستير، إشراف د. عبد العزيز الفيلالي، 2008، ص52.

16-نكتفي بذكر أسمائهم وللمزيد عن حياة هؤلاء الأعلام يمكن العودة إلى مختلف كتب السير والتراجم الإباضية.

17-بوعصبانة: معالم، المرجع السابق، ص112.

18-عن نظام التعليم وطريقة سيره. ينظر: أبو العباس احمد الدرجيني: طبقات المشايخ بالمغرب، تح إبراهيم طلاّي، جزأين، د.ن،غرداية، ط2007،2،1/168-184. الجعبيري: نظام، المرجع السابق، ص ص 117-148. بوعصبانة: معالم، المرجع السابق، ص 112ومابعدها. سامية مقري: المرجع السابق، ص ص71-81.

Brahim Fekhar :les communautés ibadites en Afrique du nord depuis les fatimides ; thèse de doctorat d'état, rap .P. Chen, univ de Paris, faculté des lettres et des sciences humaines, p.83.

19- الجعبيري: نظام، المرجع السابق، ص36. مسعود مزهودي: جبل نفوسة في العصر الإسلامي الوسيط (21-442ه) (642-1053م) ، مكتبة الضامري، عُمان، ط1، 2010، ص395ومابعدها.

20 -الجعبيري: نظام، المرجع السابق، ص ص 44-45.

21- **تمولست أو تمولسة أو تموسلت**: تقع بين سلسلة جبال تمتد من الجريد التونسي الى جبال الحوابي بجنوب شرق تونس (منطقة بني خداش). انظر: أبوزكرياء: المصدر السابق، هامش رقم:4ص 253. الجعبيري: نظام، المرجع السابق، ص187. بوعصبانة: معالم، المرجع السابق، هامش رقم:3ص136

22-**بلاد الجريد**: سمّيت كذلك لكثرة النخيل بها، وتسمى أيضا ببلاد التمر، وهي مدن كثيرة، وأقطار واسعة وعمائر متصلة، منها قابس وقسطيلية و نفزاوة ودرجين - بجنوب غرب الجمهورية

التونسية –، وهي آخر بلاد إفريقية على طرف الصحراء كانت آهلة بالإباضية في العصور الوسطى. انظر: اليعقوبي: البلدان، ص139. ابن حوقل: المرجع السابق، ص92. شمس الدين أبو عبد الله محمد المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل، ط2، ليدن، 1906، ص217، 230.

23- حسب الدرجيني: فقلعة **بني علي** هي نفسها **زنزفة**، الواقعة بين بلاد الجريد التونسي وجبال دمّر إلى الجنوب الشرقي من تونس.

–تونين أو عيون تونين: قرية من قرى جبل نفوسة، ويبدو أنها لا تبعد كثيرا عن تمولست، أي أنها في أقصى الجزء الغربي لجبل نفوسة، على وادي لالوت أو نالوت الحالية.

–**جبل دُمَّر:** سلسلة جبلية تمتد من جنوب طرابلس إلى جنوب قابس، وتطلق كلمة: دُمَّر خاصة على الجهة الغربية، وهي تقابل جهة بني خداش الآن، وتعتبر امتداداً لجبل نفوسة، سكانها من بني دمّر الزناتيين من ولد ورسيك بن الديرت بن جانا، ولهم بطون كثيرة.

24 –أبو زكرياء: المصدر السابق، ص 372، وأما في تحقيق إسماعيل العربي فيضيف إليه : **"وإنكم إن عمدتم إلى أهاليكم على هذه الحال، فأنتم كمن قصد إماتة الدين"**

25–الدرجيني: المصدر السابق،272/2.

26–البرادي أبو الفضل أبو القاسم بن إبراهيم: الجواهر المنتقاة فيما أخلّ به كتاب الطبقات، نسخة مصورة، ورقة 12.

27- الدرجيني: المصدر السابق، 272/2. يقصد بالعبارة: (ما لا تغني المشرفية عند القراع) أي أن أدلّتهما تغني عن السيوف عند المضاربة، كناية عن قوة الحجة والبرهان. ابن منظور محمد بن مكرّم بن أبي القاسم: لسان العرب، تح مجموعة محققين، دار المعارف، القاهرة، د ت ن.، مادة: المشارف، ص2244ومادة: القِراع، ص3597.

28**–علم الكلام:** هو علم يعبّر عنه ابن خلدون بأنه يتضمّن الحجاج عن العقائد الايمانية–يبحث في ذات الله وصفاته–، بالأدلّة العقلية والردّ على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات، وهو من العلوم الشرعية المدوَّنة. ابن خلدون: العبر، ص479.

29–الدرجيني: المصدر السابق، ص272.

30-البرادي: المصدر السابق، ص12.

31-نفسه، نفس الصفحة.

32-الدرجيني: المصدر السابق، 272/2.

33-نفسه، نفس الصفحة.

34-ابوزكرياء: المصدر السابق، ص372.

35-محمود اسماعيل: المرجع السابق، 188/4.

36-نفسه، 187/4.

37- Lewicki Tadeusz: Les historiens, bibliographes et traditionnistes ibadites wahbites de l'afrique du nord du XIIIème au XVIème s, Foliaorientalia ; vol.3(1961) p.1-134, bioth19.p.98